تعلّم اللغة العربية عن طريق الانغماس البيئي، رحلة الرحالة الفرنسية "كلير" إلى الجزائر

Learning Arabic through environmental immersion, French traveler Claire's trip to Algeria

أ.د.شهرزاد غول

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، chahrazed.ghoul@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/06 تاريخ القبول: 2024/11/23 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص: تهدف هذه الورقة إلى الوقوف على مدى الاندماج التعلّمي في اللّغة وأنساقها الثقافية من خلال رحلة الفرنسية كلير إلى الجزائر، ومدى نجاعة السياحة اللغوية (الانغماس) في التعلّم والتفاعل مع أفراد المجتمع، أو انتقال المتعلّم من واقع تجريدي إلى واقع حقيقي أو بيئي.

كما تدّعي هاته الدراسة افتراضاً مسبقاً بأن أكثر الطرائق التعليمية نجاعةً هي الطريقة الانغماسية، بحيث يتعامل المتعلّم أو المكتشف للثقافة أو السائح مع معطيات واقعية، وليس مع افتراضات، وعليه تجده ينتقل بين الوضعيات التعلّمية بسلاسة، فيلاحظ، ويكتشف، ويقلّد، ويحاول، ويبني، ثم يعدّل، فيكرر، ليتواصل، وهو الأساس في اكتساب أي لسان.

كلمات مفتاحية: الانغماس، تعلّم اللغة العربية، الرحلة، السياحة اللّغوية، الجزائر.

Abstract:

This paper aims to determine the extent of the learning integration and the language culture patterns through the French trip (Claire) to Algeria, the effectiveness of language tourism (indulgence) in learning and interaction with members of society, or the learner's transition from abstract to real or environmental reality.

The study also pre-assumes that the most effective educational method is the immersion method, so that the learner or explorer of culture or tourist deals with factual data, not assumptions, and therefore he/she moves between learning situations smoothly, noticing, discovering, imitating, trying, building, and then adjusting any, repeating, acquiring basis.

Keywords: Immersion, learning Arabic, Journey, Linguistic Tourism, Algeria

أ.د.شهرزاد غول، **الإيميل**: chahrazed.ghoul@univ-mosta.dz

1. مقدمة :

يعدّ الحديث عن موضوع الانغماس –باعتباره طريقة من الطرائق المنتهجة لاكتساب اللغة– حديثاً ذا شجونٍ وتفرعات متشع بة، ولعل الحديث عنه انطلاقاً من معطى تطبيقي هو ما يدعونا إلى البحث عن أجود تمظهراته وأحسن تجلّياته، لذلك اختارت دراستنا هاته نموذجاً واقعياً لرحالة تُدعى كلير[1]، ولتتواشج معطيات النموذج المرئي مع آليات الانغماس، وجدنا لزاماً أنه من الواجَب أن ننطلق من نوعية الانغماس الموجه، وأن نختار الانغماس اللغوي الذي ينطلق من معطيات مهاراتية مسبقة ليصل إلى تحقيق الهدف المنشود من الوضعيات المختلفة التي يمر بها المتعلم، ولعل أسمى تلك الأهداف هو تطوير مهارات التعلّم الأربع.

بناء عليه، تدعونا هاته الدراسة إلى التساؤل عن الطبيعة النوعية والطرائقية المنتهجة من خلال الانغماس، وأيضاً عن مدى نجاعة الأخير في تحقيق الاكتساب المثالي لملكة اللغة، وعن المكتسبات القبلية التي يعدّ حضورها ضرورياً قبل الولوج إلى البيئة اللغوية.

2. تعريف الانغماس اللغوي:

يقوم تعريف الانغماس اللغوي على ما يمكن أن تؤديه اللغة في السياق الاجتماعي حيث يكتسب الفرد مفردات لغته التواصلية من خلال احتكاكه بأفراد بيئته.

أ.الانغماس لغة:

تتفق معظم المعاجم اللغوية في تفسير مادة "**غمس**" على دلالة التغطية، والغوص، والإطباق وكل ما يشير إلى التعمق والتغلغل في أعماق الشيء، وقد ورد في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي على أن الانغماس مشتق من غمس، الغمس وهو إرسال الشيء في الماء أو غيره. والمغامسة أن يرمي الرجل بنفسه في سطة الخطب. واليمين الغموس التي لا استثناء فيها[2]

ب.الانغماس اصطلاحا:

يتفق معظم الباحثين على مصطلحين يفيان بالغرض وهما الغمر اللغوي أو المحمية اللغوية. ومصطلح الانغماس اللغوي عند المحدثين هو الحمام اللغوي le bain linguistique[3] والملاحظ أنه مترجم حرفيا لا يفي بالمعنى على حد قول عبد الرحمن حاج صالح حيث عرفه على أنه وسيلة فعالة تساعد المتعلمين على إتقان لغة ثانية ضمن مجموعة متنوعة من السياقات[4]

ونشير إلى أن الانغماس اللغوي، وإن تعددت مفاهيمه إلا أنه يقودنا إلى مفهوم مشترك وهو الانصهار والتعايش مع المجتمع اللغوي والتكيف مع مفردات ومصطلحات اللغة الجديدة من خلال السماع ومستوياته.

3. الانغماس الموجه (بحسب المحيط) أو الانغماس البيئي:

يقسم "رائد مصطفى عبد الرحيم" الانغماس اللغوي بحسب المحيط الذي يطبق فيه، وهو كالآتي[5]:

أ-الانغماس الموجه المرتبط بالمادة التعليمية في قاعة الدرس والمؤسسة المختصة بتعليم اللغات.

ب-انغماس موجه مبني على استراتيجيات المؤسسة العامة، ولا علاقة للمادة المدرسة فيه.

وقد يظهر الفرق بين هذين النوعين من خلال التجسيد الفعلي لهما، فالأول مرتبط حصراً بالمؤسسة و قاعة الدرس، أي أن المتعلم ينغمس داخل المؤسسة تحضيراً للنشاطات الخارجية مع المجتمع، وتكون اللغة الهدف هي لغة التعلم في كل المواد.أما الثاني فهو ميداني بشكل أكبر حيث ينغمس المتعلم في المجتمع الخارجي لتطبيق ما درسه موازاةً؛ وهنا تختلف المؤسسات في ابتكار الطرائق الناجعة، ونذكر منها:

- الشريك اللغوي (ابن اللغة الهدف) الذي يتبادل أطراف الحديث مع المتعلم في كل المواضيع.
- الأنشطة والألعاب اللغوية التي يندمج المتعلم مع جوها لا شعوريا (صوتاً وتركيباً ودلالةً).
- دمج المتعلم في المسابقات والتظاهرات الثقافية، لربط اللغة بأنساقها الثقافية.
- خلق وضعيات حوارية وتواصلية مسرحية بين المتعلمين، ضمن سياقات سياحية كالغابة أو المنتجع أو المزار).
- يتحقق الانغماس الاستراتيجي أيضاً بالانغماس في العائلات الناطقة باللغة الهدف.

انطلاقاً من هذه المعطيات التوجيهية يتضح أن اختيارنا للنوع الانغماسي، سيكون مدروساً ومنتقلاً من الاكتساب الجزئي داخل الصف أو عن طريق التعلّم الذاتي، ليصل إلى التعلّم الكلي خارج الصف، وتحديداً في البيئة الانغماسية الطبيعية أو البيئة الانغماسية المصطنعة.

بناء على ذلك سننطلق في تفكيك هذا النموذج للرحالة الفرنسية "كلير" من النموذج الانغماسي البيئي أي وفقاً لما ذكره رائد مصطفى من الانغماس الموجه المبني على استراتيجيات المؤسسة العامة، والذي لا يؤسس في الغالب على المادة المدرسة إلا في حدود ضيقة، حيث تلعب البيئة دوراً فعالاً في اكتساب اللغة؛ بالإضافة إلى ذلك يؤكد الكثير من المهتمين على أن العوامل التي تؤدي إلى انغماس بيئي هي عوامل تنطلق من الفرضيات السلوكية، وهي[6]:

أ–مدة الانغماس

ب–كثافة الاستعمال

ج–نوعية التعرض اللغوي

فأي مدخل أو مُخرج لغوي وجب أن يتأثّر بالبيئة المحيطة به، وقد فصل السلوكيون في هذا الأمر انطلاقاً من قولهم أن اللغة عادة سلوكية شأنها شأن العادات الإنسانية المختلفة، كما أشار رواد النظرية السلوكية إلى إمكانية التحكم في اللغة من خلال البيئة، ويتحقق ذلك عبر ثنائية (المثير–الاستجابة)، ولعل المؤثر اللغوي هو الذي يسهم في فاعلية الاكتساب اللغوي، فالمؤثر الخارجي أو المثير هو الذي يحفز وحينما تكون الاستجابة، يتبعها التعزيز لاحقاً، طبعاً إذا كانت الاستجابة ناجحة[7].من جهة أخرى تشير كل من مارينا بارت وهايدي دولاي Heidi Dulay and Marina Burt إلى أهمية الانغماس اللغوي من ناحية التلقي، وذلك من خلال فاعليته التي يلمسها المتعلم، حيث يركز أثناء التكلم على الفعل التواصلي أكثر من تركيزه على البناء اللغوي، حيث تمثل بارت ودولاي تصورهما بشخصين بالغين تختلف عندهما المستويات والمهارات اللغوية، فأثناء تبادل أطراف الحديث يركز الطرف الجيد على امتحان الطرف الثاني بسؤاله عن صحته أو عمله أو ممارساته اليومية، أما الطرف الثاني فيركز على تلقي المثير الخارجي (الأسئلة) ومن ثم تحويلها إلى أجوبة عن طريق التقليد.[8]

إن تلقي أي معلومة إجمالا ضمن سياق انغماسي سيكون في صالح المتلقي الذي سيتفاعل مع المعلومات المستقبلة مباشرة ليتفاعل معها، ويستطيع وفق ذلك تخزينها ومن ثم استعمالها ضمن وضعيات مختلفة. وفق ذلك سنقدم انطلاقا من فكرة الانغماس نموذجاً تطبيقياً، محاولين رصد أهم نقاط القوة التي تفيد أي متعلّم مندمج في المجتمعات الناطقة.

4. انغماسية "كلير" البيئية:

"كلير" هي شابة فرنسية من هواة الاكتشاف والاستطلاع، قامت في السنوات القليلة الأخيرة بزيارة بلدان عدّة منها الجزائر، حيث تركز هاته المكتشفة بشكل كبير على المثاقفة والاحتكاك اللغوي مع المجتمعات باختلاف طبقاتها، تجدها تارة في السوق مع الباعة، في المدرسة مع المعلمين والتلاميذ، وفي الأماكن المقدّسة كباحات المساجد، وغيرها.



في تجربة "كلير" الانغما سية الفريدة، تحكي المكتشفة عن التنوع الموجود في الجزائر، كما تعبر عن انبهارها بالأشكال المختلفة والرمزيات الدالة stéréotype المختلفة هي الأخرى بين منطقة وأخرى، وخاصة من ناحية التقاليد ونمط الحياة والطاقة الموجودة في المدينة والخافتة في القرية.لقد حققت "كلير" في رحلتها المسماة "25 يوماً في الجزائر" شروط الانغماس الثلاث، حيث كان الوقت أو الزمن عاملين مهمين في رحلتها، بالإضافة إلى ذلك انتهزت فرصة التجمعات المختلفة، في الأسواق، في المنازل، في المنتزهات، وقامت بشكل أحادي بالتعرض للتكثيف اللغوي في الوسط العميق الذي يتحدث لغة الشارع، أو اللهجة، أو كما تسمى عند المتخصصين: المستوى الهجين من اللغة الفصحى. وفي مثال أكثر تجسيداً لما سبق، تتفاعل "كلير" مع العبارات الشائعة مثل:

- السلام عليكم
- أعطيني لوبية/ فاصولياء

أو قراءتها للواجهات الإعلانية/ اليافطات مثل: دار الكعك.

ويكون هذا التفاعل منطلقاً من مسارات الانغماس البيئي المرتبط بوضعيات ثلاث[9]، هي:

1-السماع: وذلك عن طريق التواصل مع أبناء اللغة الهدف

2-التخزين/ الحفظ: عن طريق التكثيف اللغوي

3-التقليد ثم الإبداع: المرحلة الأخيرة التي تلي التعرض للسلوكات الخارجية.

وفي موقف آخر، في الدقيقة 2:10 يطلب المصور من "كلير" قراءة اللافتة التي كتبت عليها عبارة "دار الكعك"، ونظراً لاطلاعها المسبق على الحروف الأبجدية حاولت أن تقرأ العبارة، لكن لغتها الأم غلبت عليها حينما نطقت عبارة "دار الكعك" لتقلبها "داغ الكاك" فرغم أنها بذلت مجهودات كبيرة إلا أن المخارج النطقية لم تكن سليمة، وذلك ما يثبت لنا أهمية التكثيف اللغوي أي المداومة على السماع وتفعيل مهارتي الاستماع والملاحظة كلّما اقتضت الضرورة.



يثبت لنا هذا الموقف التعلمي أن التعلم الصفي بالنسبة للأجانب لن يفيد شيئاً خاصة حينما يتعامل السائح أو الأجنبي عموماً مع واقع هجين مختلف عن واقع المنهاج الدراسي، لذلك على المشتغلين بقطاع السياحة في البلاد العربية أن يأخذوا بعين الاعتبار الممارسات المجازية[10] المنتشرة في لهجاتنا المحلية، ليربط السائح بين اللغة الفصيحة التي يتعلمها والمقاصد الموجودة في لغة الشارع.

إن الانغماس البيئي الذي دخلت غماره "كلير" لم يكن منطلقه لغوياً فقط، بل كان تواصلياً تحتضنه اللغة، وذلك بتركيزها الكبير على نقاط التواصل في المجتمعات المغلّفة، فتلك المجتمعات تغلّف كيانها الهوياتي بأنماط معيشية تعبر عن ذات المجموعة كالعادات والتقاليد، والمناسبات الدينية أو الوطنية، والمأكولات المشهورة، والعمران والزخرفة وغيرها من خواص المجتمعات ومميزاتها. ولو تتبعنا "كلير" منذ بداية الرحلة سنجد أن دافع التعلّم لديها انطلق من بحثها عن الاختلاف، ولعل الأخير يمثل واحداً من أبرز عوامل حب الاستطلاع والاكتشاف والبحث عن الحقائق، ولا يوجد أحسن طريقة لفهم المجتمعات مثل فهم لغتها.



5. خاتمة:

إن تعلم اللغة الصفي ومع إيجابياته الكبيرة، وجب أن يكون جنباً إلى جنب مع التعلم الانغماسي البيئي ، وذلك بضرورة اصطحاب السياح في بيئات مختلفة تمثل وضعيات ديداكتيكية تشبه تلك التي تكون في الصف والتي مرت بها كلير، كما يجب على المحيطين بالسائح عدم إحراجه وخلق جو أسري يكون داعماً له من أجل تطوير ملكاته التواصلية.

نوصي أيضاً من خلال هاته الورقة أن يتم تأسيس جمعية أو وكالة وطنية للسياحة الثقافية والتعلمية تكون فاعلاً أسا سياً في تطوير هذا النوع من السياحة البيضاء، أو السياحة لأغراض خاصة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

_ آمنة مناع وآخرون، تجربة الانغماس اللغوي في تحسين المستوى اللغوي العربي الفصيح بالمدرسة الجزائرية، دراسة تجريبية، جامعة ورقلة.

_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

_رائد مصطفى عبد الرحيم وآخرون، الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض، السعودية، ط1، 2018.

_شواكلي الحسين، السياحة وفنون التواصل، أعمال الملتقى الوطني: الانغماس اللغوي في اللغة الوظيفية، التسويق اللغوي السياحي أنموذجا، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، جويلية 2021.

_موسى حتاملة، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، العدد 70، ق1.

5. هوامش البحث:

[1] يمكن للقارئ التعرف أكثر على الرحالة "كلير" عبر رابط الفيديو في قناتها على منصة اليوتيوب: https://youtu.be/_AlLHF8HHJs

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، 380/4.

[3] آمنة مناع وآخرون، تجربة الانغماس اللغوي في تحسين المستوى اللغوي العربي الفصيح بالمدرسة الجزائرية، دراسة تجريبية، جامعة ورقلة، ص 17.

[4] نفسه، ص 19.

[5] رائد مصطفى عبد الرحيم وآخرون، الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض، السعودية، ط1، 2018 ص: 38، 45

[6] المرجع السابق، ص: 63

[7] موسى حتاملة، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، العدد 70، ق1، ص: 107

[8] المرجع نفسه، ص 116

[9] رائد مصطفى عبد الرحيم وآخرون، الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (النظرية والتطبيق)، ص: 44

[10] بتصرف، شواكلي الحسين، السياحة وفنون التواصل، أعمال الملتقى الوطني: الانغماس اللغوي في اللغة الوظيفية، التسويق اللغوي السياحي أنموذجا، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، جويلية 2021، ص:288.